

٩ أيلول

† القديسين الصديقين جدي المسيح الإله يواكيم وحنة - القديس ثيوفانيس البار المعترف



القديس ثيوفانيس البار المعترف

باهتدى القديس ثيوفانيس إلى الإيمان المسيحي بطريقة عجيبة غريبة. ولد في العام ٢٨٣ م من أبوين وثنيين، عاد مرة إلى البيت وكان صبيًا فسأله والداه: "أين تركت ثوبك؟" فقال: "وجدت صبيًا يرتحف من البرد، هذا ألبسته ثوبي فألبسني المسيح". انذهل أبواه وقالوا: "من هو المسيح هذا؟! نحن نعبد هرميس وأبولون، ولكن، المسيح، لا نعرف من هو!". هجر الصبي والديه، فقاده الرب إلى ناسك أخذه إلى خاصته وعلمه الطريق الملوكي والكتاب المقدس. عاش ثيوفانيس ناسكًا، إلى جانب معلمه أولاً، ثم وحيدًا، مدة طويلة من الزمن، ما يقرب من خمسين عامًا. جاءه ملاك الرب مرة وقال له إن الوقت قد حان لتشهد للمسيح والحياة الفضلى، فقبض عليه الجند وأشبعوه ضربًا فكان ذلك شهادة للمسيح حركت قلوب الكثيرين وأتت بهم إلى الإيمان، ولكن لما رأى الولاة ثباته وجسارته تركوه، فعاد إلى مغارته وعاش فيها ناسكًا إلى أن رقد بسلام.

الصديقان يواكيم وحنة أبوي والدة الإله

في مدينة الناصرة كان يعيش زوجان هما يواكيم وحنة. يواكيم الصديق القديس نشأ من سبط يهوذا من نسل الملك والنبى داود، فأبوه هو فاريافير من سلالة ناتان بن داود، وأما حنة فهي ابنة الكاهن متان من قبيلة هارون وكان لها أختان هما مريم وصوفيا، وقد تزوجت مريم في بيت لحم وولدت صالومي، وتزوجت صوفيا في بيت لحم أيضاً وولدت أليصابات أم النبي يوحنا المعمدان، وتزوجت أختها حنة وولدت مريم العذراء أم الإله في الناصرة، وبناء على نقاوة سيرة هذين الزوجين يواكيم وحنة وقداستهما وإحسانهما استحقا أن يكونا أبوي والدة الإله مريم العذراء التي هي أقدم من جميع القديسين وأظهر من الشاروبيم، فقد كانا بارين أمام الله نقيي القلب محافظين على وصاياه وقد اشتهرا عند الجميع بتواضعهما كثيراً وقد مضى على زواجهما خمسون سنة قطعنا كلاهما في شيخوخة مسنة ولم يرزقا نسلًا، فبرح بهما

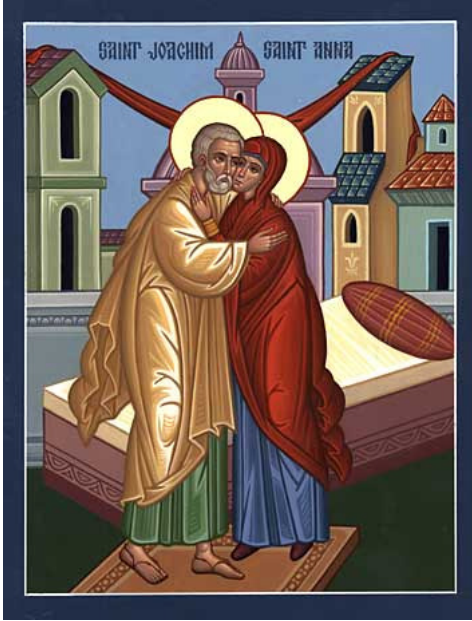
الحزن حتى استأصل منهما الرجاء بأن يكونا من أجداد المسيح الموعود به، ثم اشتدت وطأته عليهما بسبب احتقار مواطنيهما وإهاناتهم لهما حسب عادة ذلك الزمان، لأن العاقرين في نظرهم هما خاطئين أمام الرب فلم يرزقهما نسلًا، وعارين على أمتهم.

حياتهما كانت طافحة بالمحبة لله والشفقة على القريب، فكانا يفرزان كل سنة ثلثي دخلهما ويقدمان الثلث إلى هيكل الرب ويوزعان الآخر على الفقراء، وأما الثالث فيبقيانه لحاجتهما، وكانا سعيدين في حياتهما هذه، إلا أن العقر كان يفعم قلبيهما يأساً وحزنًا وبؤساً، لأن ذرية داود كانت قد أعطيت رجاءً لأن تكون وسائل خلاص الجنس البشري بميلاد ماسيا المخلص الموعود به منها. لقد كابدا من عار العقر مدة حياتهما الزوجية الطويلة، وكان ليواكيم الحق بموجب الشريعة الفريسية أن يقاضي حنة بالطلاق بسبب عقرها، إلا انه وهو الرجل الصديق قد أحب امرأته حنة واحترمها لأجل وداعتها الفائقة وفضائلها ولم يرد أن يفارقها، فعانينا كلاهما ثقل الامتحان باكتئاب قلب تنزه عن التذمر واستمررا يعيشان في الصوم والصلاة والإحسان ويشدد احدهما الآخر بمحبة متبادلة، والأمل بأن الله قادر أن يرحم عباده مالى قلبيهما.

ومن عادتهما أن يزورا أورشليم في الأعياد العظيمة، ففي عيد تجديد الهيكل جاء يواكيم مع بعض مواطنيه ليقدم فيه قرابينه فرفضها رئيس الكهنة ايساخر قائلاً له: "أنت غير مستحق لأن تُقبل منك قرابين لأنك غير مثمر، فلا ريب في انك لم تنل بركة الله بسبب خطاياك الخفية"

وقال له رجل من سبط راؤبين: "لماذا تريد أن تقدم قرابينك قبلي ؟..أفلا تعلم انك غير مستحق لأن تقدم معنا قرابين لأنك لم تقم ذرية في إسرائيل"

فثقل على يواكيم أن يسمع هذه الملامات وحجل ولم يرجع إلى بيته بل هام على وجهه إلى البرية مغتماً جداً وانصرف إلى رعاية قطيع غنمه وهو يبكي العقم والعار، هناك بكى الشيخ البار وصام وصلى أربعين يوماً ناقعاً اكتسابه بدموع الاستعطاف والدعاء إلى الله ليرفع عنه العار والتبكي، ويمنحه ولداً في شيخوخته وطالباً منه الرحمة الإلهية والعزاء الذي ناله صفيه إبراهيم وقال: "لست أذوق طعاماً ولا أعود إلى بيتي، فدموعي هي طعامي والبرية هي بيتي حتى يستمع لي الرب"



وفي الوقت ذاته عرفت حنة بإهانة زوجها وبأنه قد هجرها إلى البرية، فسالت دموع عينها سخية ومضت إلى البستان إخفاءً لحزنها عن أهل البيت، وبينما كانت جالسة تبكي تحت شجرة الغار وتصلي بإيمان لا يتزعزع ليجعل الرب القادر على كل شيء غير الممكن ممكناً، وإذ رفعت عينها في ذلك الحين إلى السماء، وشاهدت من بين أغصان الغار عشراً لأفراخ العصفير عارية، فزادت دموعها غزارة وعظمت صلاة التشكي في قلبها فهتفت قائلة: "ويلي أنا العاقر الوحيدة الذليلة بين جميع النساء، فماذا يمكن أن أشبه ذاتي؟.. إني لا أستطيع أن أشبه نفسي لا بطيور

السماء ولا بوحوش الأرض لأنها تقدم لك أيها الرب ثمرتها وتتعزى بأولادها، أما أنا فمحرومة من هذا السرور بل ولا اقدر أن أشبه نفسي بالأرض لأنها بناتها وأثمارها تباركك، أما أنا فإني الوحيدة غير المثمرة على الأرض وكصحراء بلا ماء، بلا حياة، وبلا نبات، فويلي أيها الرب انظر إليّ واستمع صلاتي يا مَنْ وهبت سارة ابناً في شيخوختها المتناهية، وفتحت رحم حنة أم صموئيل، افتح رحمي واجعلني أنا العاقر مثمرة حتى نقدم مَنْ ألدته نذيراً لك ممجدين رحمتك."

فظهر أمامها فجأة ملاك الرب وقال لها: "يا حنة، إن صلاتك قد سُمعت، وتهداتك قد اخترقت السحاب، ودموعك قد بلغت عرش الرب، فأنتِ ستحملين وتلدن بنتاً فائقة البركات، لأجلها تبارك قبائل الأرض كلها، وبها يُمنح الخلاص للعالم أجمع، وتُسمى مريم."

فسجدت حنة للرب وهتفت وهي ممتلئة فرحاً تقوياً: "لَعَمْرُ الرب الإله، إني إذا رزقتُ ابنة نذرتُها لخدمة الرب، فلتخدمته ليلاً ونهاراً مادحة اسمه القدوس"

وأمر الملاك حنة بأن تذهب إلى أورشليم بعد أن تنبأ لها بأنها ستلتقي بزوجها عند الباب الذهبي، فأسرعت وهي تلفظ هذا النذر إلى أورشليم لتحمد العلي وتشكره في الهيكل على رحمته الإلهية. وفي الوقت ذاته ظهر الملاك ليواكيم الصديق وهو واقف في البرية يصلي وقال له: "يا يواكيم، إن الله قد سمع صلاتك، فستحمل امرأتك حنة وتلد لك ابنة يجبو ميلادها العالم كله بالسرور، وهاك آية فاذهب إلى الهيكل في أورشليم فتلاقي عند الباب الذهبي زوجتك حنة التي بشرتها أنا بهذا."

فلما التقيا قدما معاً قربان حمد في الهيكل، وعادا إلى بيتهما وإيمانهما وطيد بأتهما سينالان ما وعدهما به الرب فحملت حنة في اليوم التاسع من كانون الأول وولدت في اليوم الثامن من أيلول مريم الفاتكة النقاوة والبركات بدء خلاصنا وشفيعتنا التي فرحت بميلادها السماء والأرض، وقدم يواكيم إلى الله تقادم عظيمة وقرايين وضحايا، ونال بركة رئيس الكهنة والكهنة واللاويين والشعب، وهياً وليمة حضروها وباركوا الله مبتهجين.

لم ترد في الإنجيل رواية ميلاد العذراء مريم، وإنما حُفظت عنه تواترات مسطرة في مؤلفات القديس ابيفانيوس أسقف قبرص، ومؤلفات المغبوط ايرونيوس وغيرهما.

الطروبارية

+ ميلادك يا والدة الإله بشر بالفرح كل المسكونة لأنه منك اشرق شمس العدل المسيح الهنا
فحلّ اللعنة ووهب البركة وأبطل الموت ومنحنا حياة أبدية.

+ إنّ يواكيم وحنّة من عار العقر أطلقا، وآدم وحواء من فساد الموت أعتقا بمولدك المقدس يا
طاهرة، فله أيضاً يعيد شعبك إذ قد تخلّص من خصومة الزلات صارخاً نحوك: العاقر تلد والدة الإله
مغذية حياتنا